المحاضرة الرابعة بعنوان

التفكير الاجتماعي عند فلاسفة اليونان: أفلاطون

عناصر المحاضرة

أولاً: التفكير الاجتماعي عن أفلاطون –وتتضمن:-

مقدمة: أهم أبحاثه ومؤلفاته

أولاً: دعائم المدينة الفاضلة ونظامها الطبقي

ثانياً: التربية الاجتماعية في المدينة الفاضلة

ثالثاً: المرأة ونظام الأسرة ونظام الملكية

رابعاً: حكومة الفلاسفة

خامساً: تقييم ونقد آراء أفلاطون

مقدمة: أفلاطون

فيلسوف يوناني (428-347 ق.م) وأحد الحكماء السبعة في اليونان ينحدر من أسرة أرستقراطية برع في جميع العلوم والمعارف، خاصة: في الحساب والهندسة عاش حوالي الثمانين عاماً، وكتب مؤلفات عديدة.

يعتبر بعض الباحثين أن جمهورية أفلاطون هي أول بحث منظم وضعه فلاسفة اليونان في الفلسفة الاجتماعية.

بيد أن هناك بحوثاً سابقة على هذه الجمهورية أمكن دراستها بطريقة علمية تحليلية، كما تم الكشف عما فيها من مظاهر التفكير الاجتماعي قبل أن تصل الفلسفة اليونانية إلى عصرها الذهبي: عصر أفلاطون وأرسطو.

من أهم البحوث السابقة على عصر أفلاطون وأرسطو:

ديوان الأعمال والأيام للشاعر ويعرض لفكرة العدالة (هزيود) والعمل.

الأشعار المنسوبة إلى طائفة وهي أمثال (الشعراء الحكماء) تتحدث عن العدالة الاجتماعية.

(النظم القضائية والدستورية) التي وضعها المشرعون الاجتماعيون، واستفاد منها أفلاطون.

بحوث وضعها (أرستوفان) وهي "الرواية والفرسان" ويتناول فيها نظام الملكية.

بحوث (أكسانوفان) وأهمها "الاقتصاد" ويتحدث عن حقوق الأسرة.

hadeel alnafea

مقدمة: أهم أبحاث أفلاطون ومؤلفاته

ما هي أهم مؤلفات أفلاطون؟

- السياسة. – الجمهورية. – القوانين.

بحوثه الأساسية إذن هي: الجمهورية والسياسة والقوانين، وكلها تزخر بالبحوث المتصلة بالدراسات الاجتماعية. غير أن كتاب الجمهورية يعد الأهم فهو عبارة عن بحث منظم في الفلسفة الاجتماعية، وكان الغرض من هذا الكتاب هو التخطيط الأمثل لقيام مدينة فاضلة التي تقوم على الفضيلة وتظلها العدالة وتشرف عليها حكومة الفلاسفة. وعرض في هذا الصدد ثلاثة موضوعات رئيسية هي:-

يعرض أفلاطون في هذا الصدد ثلاثة موضوعات رئيسية، والتي تشكل أهم الأسس والدعائم الضرورية لقيام هذه المدينة الفاضلة أو الدولة.

وهي:-

أولاً: دعائم المدينة الفاضلة ونظامها الطبقي:

يبدأ أفلاطون جمهوريته بالحديث عن طبيعة الاجتماع الإنساني ونشأته الأولى، حيث يناقش الدعائم الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات المعاصرة له، فيحللها ثم يوضح وجوه الفساد فيها بهدف أن يبني على أنقاضها النظم المثلى التي ارتآها مناسبة لتحقيق السعادة في المجتمع.

يلجأ أفلاطون في تحديد مبادئه بصدد المدينة الفاضلة إلى دراساته في النفس الإنسانية، فالمدينة تشبه الفرد أي أنها عبارة عن وحدة حية مكونة من أجزاء كما يتكون جسم الإنسان من أعضاء. وكل جزء من أجزائها يؤدى وظيفة خاصة. كما تختلف أعضاء جسم الإنسان في أداء وظيفتها، وترتبط هذه الأجزاء بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً وتجتمع كلها في مركز واحد وتسعى إلى غاية مشتركة شأنها في ذلك شأن أجزاء جسم الإنسان.

ويشكل الشعور بالحياة المشتركة والتعاون الوثيق والغائية الجمعية، دليل حقيقي ويقيني على أصالة تفكير أفلاطون، وعمق تفكيره وهدفه في الكشف عن الضرورة الاجتماعية التي تجعل من المدينة أو "الدولة" أول تنظيم اجتماعي وسياسي تدعو إليه الطبيعة.

لأول وهلة تتميز هذه المدينة (المجتمع)

- بالشمول. - والتعبير عن الحياة المشتركة. - والتعبير عن التعاون الوثيق. - والتعبير عن الهدف الجماعي.

وتحتم الضرورة الاجتماعية برأي أفلاطون على جعل المدينة أو الدولة بوصفها:

أول تنظيم اجتماعي وسياسي تدعو إليه الطبيعة البشرية. ذلك أن الدولة وحدة جماعية منظمة.

haberalmafea

فالدولة وحدة جمعية دعائمها انسجام الرغبات الخاصة والإرادات الفردية وتوازن الميول والمصالح الذاتية. ويستحيل على هذه الوحدة الروحية أن تتحقق في مجتمع يسترق بعض أفراده البعض الآخر، أو تطغى مصالح فريق على الفريق الآخر.

وبهذا يريد أفلاطون أن يقرر أن "الحاجة الإنسانية" هي التي تدفع إلى الاجتماع المنظم، وعدم كفاية الحياة الفردية تدفع بالأفراد إلى التعاون المشترك والاشتراك في مجهود جمعي يكفل لنهم تحقيق كمالهم المادي والروحي.

ما هو الهدف العام المشترك؟ إنه العدالة تسعى الدولة إذن لتحقيق العدالة الاجتماعية، خاصة وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده، ولا بد أن يعتمد دائما على الآخرين. وعليه: فالحاجة الاجتماعية الإنسانية لإشباع الحاجات المادية والروحية هي أساس تلك الوحدة الاجتماعية، وأساس النظام الاجتماعي.

النظام الطبقي للمدينة الفاضلة

ولما كانت ضرورة الحياة هي الدافع الجوهري لقيام المجتمع فيجب إذن أن يحتوى على طبقة مزودة بالرغبة في العمل

"طبقة منتجة كادحة" تكون وظيفتها تحقيق الحاجات الضرورية والرغبات الخاصة، أي أن وظيفتها القيام بشؤون العمل والانتاج من "زراعة وصناعة وتجارة"، هذه الطبقة في المجتمع تشبه "القوة الشهوانية" في النفس الإنسانية.

وبما أن ضرورة الوجود وحب البقاء لا تكفي لقيام المدينة، فلابد أن تقوم معها ضرورة الدفاع عن أفراد المجتمع وحماية مصالحه وسد هجمات المغيرين والطامعين، ولذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى قيام طبقة اجتماعية، وهذه الطبقة هي طبقة المحاربين التي من خصائصها فضيلة الشجاعة وهذه طبقة تشبه "القوة الغضبية" أي قوة النزوع في النفس الإنسانية.

بيد أن الدولة الفاضلة لا يكفيها أن تحقق لنفسها سبل العيش ووسائل الدفاع، بل يجب أن تحكم نفسها بنفسها، وأن تكون فيها هيئة وظيفتها الإشراف على الناحية الإدارية وسن القوانين ونشر العدالة وتحقيق السعادة للمواطنين وهى طبقة الحكام والرؤساء، وخصائصها فضيلة الحكمة وهى تشبه في المجتمع "القوة الناطقة" في النفس الإنسانية.

ما هي وظائف الدولة التي تحدث عنها أفلاطون؟

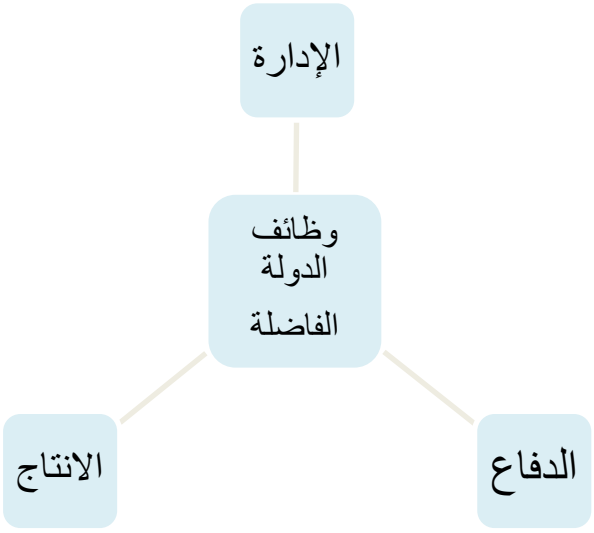

هنا يؤكد أفلاطون انقسام المجتمع إلى ثلاث طبقات متمايزة بحكم الطبيعة. ولكل طبقة وظيفة خصتها بها الطبيعة، بحيث لا ينبغي لها أن تتدخل في عمل الطبقة الأخرى، بمعنى أن لا يشارك الطبقة الممتازة في الحكم أي من الطبقات الأدنى، وخاصة المنتجة لأنها لا تملك الحكمة ولا التربية ولا التعليم.

hadeelalmafea

أن كل طبقة من الطبقات الاجتماعية الثلاث تمتاز بفضيلة خاصة، فطبقة المنتجين فضيلتها التعفف والاعتدال، وطبقة المحاربين فضيلتها الشجاعة والمخاطرة، وطبقة الحكام فضيلتها الحكمة والحزم.

تشبيه الدولة بالإنسان

وظيفة الدولة	ما يقابلها في نفس البشرية	مركزها	طبيعتها	فضيلتها	معدنها
الإنتاج (المنتجة)	القوة الشهوانية	البطن	هم العمل والطبقة الكادحة	التعفف والاعتدال	الحديد والمعادن الغير ثمينة
الدفاع (المنفذة)	القوة الغضبية أو قوة النزوع (النفسية)	القلب	هم المحاربين ورجال الأمن	الشجاعة والمخاطرة تطبيق القوانين السياسية وتحقيق العدالة	الفضة
الإدارة (المفكرة)	القوة الناطقة أو العاقلة أو الفكرية	الرأس أو العقل	الحكام وأصحاب الرأي	عملية الحكمة والحزم في اتخاذ القرارات وتنفيذها	الذهب الخالص

يقول أفلاطون: بأن الدولة الفاضلة متى جمعت بين الفضائل الثلاث، استطاعت أن تقيم بينها حالة النظام، وتتحقق "العدالة" كما تتحقق الفضيلة في النفس الإنسانية.

فالعدالة في نظر أفلاطون، ليست في حقيقة الأمر فضيلة رابعة مضافة إلى الفضائل الأخرى. بل "العدالة" هي: (قوة خلقية تنشأ في جو الدولة، كما تنشأ في مقومات النفس الإنسانية من تنسيق مختلف الفضائل وتحقيق التوازن وقيام حالة التناسب والاعتدال).

ويرى أفلاطون أن التقسيم الطبقي المشار إليه تقسيم طبيعي، فالطبيعة هي التي أقامته وحددت عناصره وعينت وظائفه وجعلت هذه الطبقات من طبائع مختلفة ومعادن متباينة، فطبقة الحكام من الذهب الخالص، وطبقة المحاربين من الفضة ، وطبقة المزارعين والعمال من الحديد "والنحاس الخام".

وليست هذه الطبقات منفصلة اجتماعياً ولكنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ويتبع بعضها البعض الآخر ويعتمد عليه في قوامه وكماله.

وهى في مجموعها تكون وحدة حية دعامتها الفرد الذى تفرض عليه الحياة الاجتماعية أن يقوم بالوظيفة التي يحددها له جهاز الدولة.

الدولة الفاضلة كما يصورها أفلاطون هي جماعة من أفراد أحرار متساويين يرتبطون فيما بينهم بأواصر الأخوة، ويقصد كل منهم إلى تحقيق وظيفته الاجتماعية في ظل طائفة من القوانين العادلة التي تضعها طبقة الحكام، وهي طبقة مطبوعة على حب العلم والفلسفة. فلا يصدر عنها إلا ما هو عادل وفاضل.

وأن المدينة الفاضلة لا ينشغل أهلها بطلب الجاه أو الشهوة ولا يسرفون في طلب المال ولا يتخذون من الحرب غرضاً ذاتياً يسعون إليه، ولكنهم يعيشون في أسرة واحدة دعامتها العدالة وتحقيق السعادة.

nadeel alnafea

ثانياً: التربية الاجتماعية في المدينة الفاضلة

كانت المجتمعات في عهد أفلاطون مضطربة في نظمها الإدارية والسياسية، وبعيدة عن الاستقرار الاجتماعي، وذلك بسبب القصور في عدم تكوين العناصر الضرورية لقيام المدينة والوحدة الاجتماعية.

ولأنه كان يعد طبقة الحكام والجنود من اهم طبقات المجتمع، حيث يتوقف عليهما سعادة المجتمع، فقد جمعهما في طبقة واحدة هي الحراس، متسائلاً بذلك عن الوسيلة الناجعة لبناء هذه الطبقة.

يقول أفلاطون: "أننا إذا أردنا أن نقيم المدينة المثالية على قواعد فيجب أن نرجع إلى مملكة الأطفال البريئة، فهي كالعجين أو كقرص الشمع الذى يستطيع أستاذ الجيل أن يشكله حسب ما يريد، وهي بما فيها من أصل صالح ونواة طيبة لما سيكون عليه مستقبل الدولة، وعن طريق التربية نستطيع أن نجعل من الأطفال مواطنين وعناصر لدولة مثالية".

ولمعالجة تلك المشكلة، نادى بأهمية التربية الاجتماعية السليمة للأطفال للكشف عن ملكات الموهوبين وتحويل قدراتهم الفطرية إلى استعدادات مهنية تتفق مع متطلبات الدولة.

ويتلخص نظام التربية الاجتماعية في الخطوات الآتية:-

نبدأ أولاً بأن نميز بين الأطفال (بنين وبنات) أصحاب القوة البدنية أي أصحاب الاستعداد للمقاتلة، ونهتم بالتربية البدنية والرياضية لنحافظ على قوتهم الطبيعية ونعطى لهم قسطاً من الآداب والفنون.

ويجب ألا نقتصر في هذا السن المبكر على تثقيفهم بقدر من المعلومات والمعارف بل يجب أن نغرس فيهم حب الفضائل وننمي فيهم أصول الدين التي تقوم على الإيمان بوجود الله. ويخضع الأطفال في هذا النوع من التربية حتى الثامنة عشر عاماً.

ثم ينقطعون عن متابعة الدرس ويمارسون التمرينات العسكرية لمدة عامين كاملين.

ثم يفصل الممتازين منهم على حدة ليعودوا ثانية إلى مواصلة الدراسة والبحث في أربع مواد أساسية وهي: الحساب والهندسة والفلك والموسيقى حتى تنمى فيهم حب الحكمة والفلسفة.

عندما يبلغ الحراس سن ال 30 نميز من بينهم أصحاب الاستعداد الفلسفي (رجال، نساء) لمتابعة دراسة الفلسفة، وليجيدوا البحث عن حقائق الأشياء. ويستمرون في هذه الدراسة خمس سنوات.

ثم تولى الوظائف الحربية والإدارية حتى سن ال 50 سنة ثم يرقون إلى مرتبة الحكام أما الذين تخلفوا عن مراحل الدراسة يكونوا طبقة الجند.

ومجمل القول هو أن أفلاطون يرى أنه من الضروري إشراف الدولة على شؤون التربية والتعليم حسب الخطوات التالية:

أ- تأخذ الدولة الأطفال بعد الولادة مباشرة.

ب- تعهد بهم إلى مربيات عامة، موظفات للقيام بأمور الحضانة.

ت- بعد بلوغهم السابعة من العمر يتم الفصل (بعد اختبار قدراتهم) بين من يصلح لإكمال تعليمه وبين من يصلح للأعمال الجسدية (صناعة-مهنة-زراعة-أي حرفة).

hadeel alnafea

التمييز بين الأحداث الذكور والإناث، واختيار المتميزين بالتكامل الجسمي والقوة البدنية، والاستعداد للقتال، لزيادة قواهم الطبيعية والمحافظة عليها.

وتزويدهم بالفنون والآداب وغرس حب الفضائل وقواعد الدين.

عند بلوغهم سن (18) يوجهون نحو مزاولة التدريب العسكري طوال عامين كاملين.

ويستأنف المتميزين منهم الدراسة والبحث لمدة (10) سنوات في أربع مجالات رئيسة: الرياضة-الهندسة-الفلك-الموسيقى، لتزويدهم بخلفية علمية تدفعه نحو حب الفلسفة والحكمة.

يتم اختيار أصحاب الاستعداد الفلسفي منهم لدراسة الفلسفة والمنطق وإجادة البحث عن حقائق الأشياء لفترة (5) سنوات.

وبهذا يبلغون العمر (35) سنة، فتسند للممتازين منهم الوظائف الحربية والإدارية إلى أن يصلوا إلى (50).

يتم حينها اختيار المميزين في الأعمال الإدارية والحربية لترقيتهم إلى مرتبة الحكام وإسناد الوظائف الرئيسة لهم ليصلوا بمقاليد الحكم إلى مرتبة الحكمة والفلسفة الخالصة.

ونظراً لأن الحراس في المرحلة التربوية ليس لديهم الوقت الكافي للسعي وراء تكاليف الحياة، فيجب على الدولة أن توفر لهم أسباب المعيشة مثل توفير الطعام والشراب والمأوى.

وهذا ما دعاه إلى تحريم نظام التملك على هذه الطبقة، فلا يحق لأحد منهم أن يمتلك أي من مظاهر الثروات.

ثالثاً: المرأة ونظام الأسرة والملكية

ورأى أفلاطون أيضاً أنه ضماناً لنجاح نظام الحكم والحراسة يجب أن ننزع من نفوسهم عواطف الأسرة وشواغلها.

وبهذا المعنى يكون الزواج في هذه الفئة مؤقتاً، وفي فترات محددة أثناء المناسبات الرسمية والحفلات الدينية والأعياد.

حيث يقيموا علاقات مع بعضهم البعض تنتهي بانتهاء المناسبة. أي أن الحراس يعقدوا زواجاً لغرض الإنجاب فقط، حسب حاجة الدولة.

إن الوسيلة للابتعاد عن الترف والثروة، وعدم تورط الحكام في الفساد يكمن في شيوع الملكية. بمعنى أن لا يتمتع الحاكم بملكية خاصة أيا كانت سواء مسكن أو مخزن أو أي شيء.

يجب على الحكام والحراس العيش في ثكنات الجنود، يتناولون الطعام معهم بموائد مشتركة.

باختصار ألغى أفلاطون كل أنواع الملكية الخاصة: البيت والأسرة وحتى الزوجة أو الولد.

عن مضار الملكية الفردية يقول أفلاطون:

علينا أن نلغي التمييز بين "لي" و "لك" ويجب أن تزول من الوجود صيغة المتكلم المفرد-أنا، ويجب أن تزول من الوجود البيت الخاص والأسرة الخاصة، لأن في الأسرة تكمن كل روابط "الفردية" وأركانها. ويجب أن تصبح الأموال والنساء مشاعاً، فلا يعرف إنسان فروعه من أولاد وأحفاد، ولا يعرف أيضاً من أبوه أو أمه، بل إن "جيلاً من الناس يلد جيلاً آخراً".

hadeel alnafea

ولعل الهدف من شيوعية النساء والأطفال هو إزالة أسباب الخلاف بين أفراد المجتمع، والعيش المشترك بدون ملكية خاصة. باستثناء طبقة المزارعين والصناع فقد أتاح لهم بشيء من الملكية لقاء دفع الضرائب للدولة مع إبقاء حق الدولة في استعادة الملكية بعد وفاتهم، أي ألغى أفلاطون توارث الملكية.

ويوضع الأطفال في مكان واحد كوديعة مقدسة لدى مربيين معينين من قبل الدولة وفق مرسوم خاص.

وبهذا المعنى لا يتطلب الأمر أن يعرف الواحد منهم أماً أو أباً، فهم أبناء الجميع ونسل الجميع ولا توجد بينهم قرابة معروفة، بل تجمعهم أسرة الجندية. لكن نظام الأسرة مباحاً لطبقة الشعب مع مراقبة الدولة على تحديد النسل لمنع تضخم عدد السكان.

ومجمل القول في هذا النظام التربوي أن الدولة تستولي على الممتازين من أبناء الشعب وتخضعهم لنظام تربوي محدد لا فرق فيه بين الذكور والإناث. هناك مساواة إذن بين الجنسين في الحقوق والواجبات وتقلد الوظائف العامة.

ولهذا السبب ألغى أفلاطون في مدينته الفاضلة نظام الملكية، ونادى بشيوعية المال والنساء والأولاد في طبقة الحراس فقط.

لقد جرد أفلاطون الناس جميعاً من عواطف القرابة والأسرة: من الأبوة والأمومة.

وأباح شيوع النساء والجنس وتنظيم ذلك في مواعيد الأعياد والمناسبات القومية. فألغى نظام الزواج والأسرة في المجتمع، ونادى بمساواة النساء بالرجال في طبقة الحراس والحكام.

كما حدد سناً معينة للإنجاب سواء للرجل أو المرأة حتى لا ينشأ الأطفال ضعفاء للمحافظة على السلالة النقية.

رابعاً: حكومة الفلاسفة

أن أفلاطون يريد أن يكون الحكام في مدينته المثالية فلاسفة وحكماء لأنهم يحاولون تطبيق العدل والجمال والخير ومن الأفضل أن تتولى طبقة الفلاسفة الحكم بشكل جماعي ولا ينفرد واحد منهم بالحكم والمجد والسلطان وفى هذا الصدد قد أوصى فلاسفة كثيرون بعد أفلاطون بضرورة التوازن أو الاعتدال بين عناصر الحكم ليكون أكثر دواماً واستقراراً.

أي أن الحكومة الأفضل كما يراها أفلاطون هي حكومة ارستقراطية من طبقة الفلاسفة مقيدة بهيئات نيابية تكفل التوازن بين السلطات المختلفة وهى بهذا الوصف وسط بين الطغيان والديمقراطية لأن الطغيان يسرف في حب السلطة والديمقراطية تغالي في حب الحرية فكلاهما فاسد في ذاته ولا يحقق للدولة العدالة المنشودة. بيد أن المزج بينهما بالقدر اللازم ينتج لنا النظام السياسي الأمثل.

لماذا يفضل أفلاطون نظام الحكم الجماعي؟

وأخيراً نجد أن أفلاطون يفضل الأسلوب الجماعي في نظام الحكم، بسبب:

- أن أعباء الحكم أكثر من قدرات الفرد.

- أن الفرد تحت تأثير نشوة الحكم قد يتحول إلى طاغية.

والضمانات التي وضعها أفلاطون لتجنب الانحراف تحت تأثير المصالح الذاتية هي:

ضرورة قيام الجمهور بمراقبة طبقة الحكام عن طريق تشكيل مجالس نيابية لتوفير التوازن والاعتدال في عناصر الحكم.

hadeel alnafea

خامساً: تقييم ونقد آراء أفلاطون

هذه هي أهم نظريات أفلاطون الاجتماعية. وقد أحدثت هذه النظريات حركة فكرية واسعة النطاق وتوفر الباحثون على دراستها وبحثها ونقدها من عهد تلميذه أرسطو إلى الآن.

لقد غالى النقاد كثيراً ونسبوا إلى أفلاطون أموراً لم يسلم بها.

لقد وضع أفلاطون نظرية فلسفية في المثل طبقها على النفس الإنسانية وطبقها على المعرفة وأراد أن يطبقها على الدولة مشبهاً إياها بالفرد، ومشبهاً قواها ووظائفها بقوى النفس ووظائفها، ووضع أمامه مثال الحاكم ومثال للمواطن.

لكن نظريته في التربية الاجتماعية ونظرته للمرأة والزواج والأسرة والتي دعا فيها أيضاً إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، قد لاقت هجوماً عنيفاً، واستأثرت بأوفر قسط من التجريح والنقد اللاذع.

وانتقد الكثير أفلاطون لأنه دعا إلى إلغاء الملكية وإلى شيوعية النساء والأولاد، كما كان يغالى في طلب الكمال لأنه كان يريد شيوعية الثروات والنساء والأولاد.

لقد عدل أفلاطون في كتابه "القوانين" كثيراً من الآراء التي عرضها في كتاب "الجمهورية" فنراه مثلاً يخفف، من اتجاهه إلى الشيوعية ويعزز من النظام الأسري فصار أفلاطون يدعو إلى تدعيم الروابط الأسرية وينادي بعدم تقييد الزواج بأي إلزام اجتماعي أو ديني.

ويحارب حياة العزلة وظاهرة الطلاق أو انفصال الزوجين لأن هذه الظواهر تؤدى إلى تفتيت المجتمع. وينادى أفلاطون بضرورة احترام العرف والتقاليد والعقائد الدينية بوصفهم دستور غير مدون ولا يقل أهمية في حياة المجتمع عن الدستور المكتوب.

hadeel alnafea